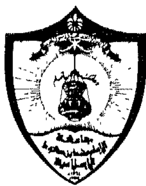
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
إدارة الثقافة والنشر



الطريق المستقيم
- ١ -

بيان حقيقة التوحيد

الذي جاءت به الرسل
ودحض الشبهات التي أثيرت حوله

بقلم
الدكتور صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان
الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء بالرياض

محرم ١٤٠٨هـ / سبتمبر ١٩٨٧م

اهداءات ١٩٩٤
المملكة العربية
السعودية

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
إدارة الثقافة والنشر



الطريق المستقيم

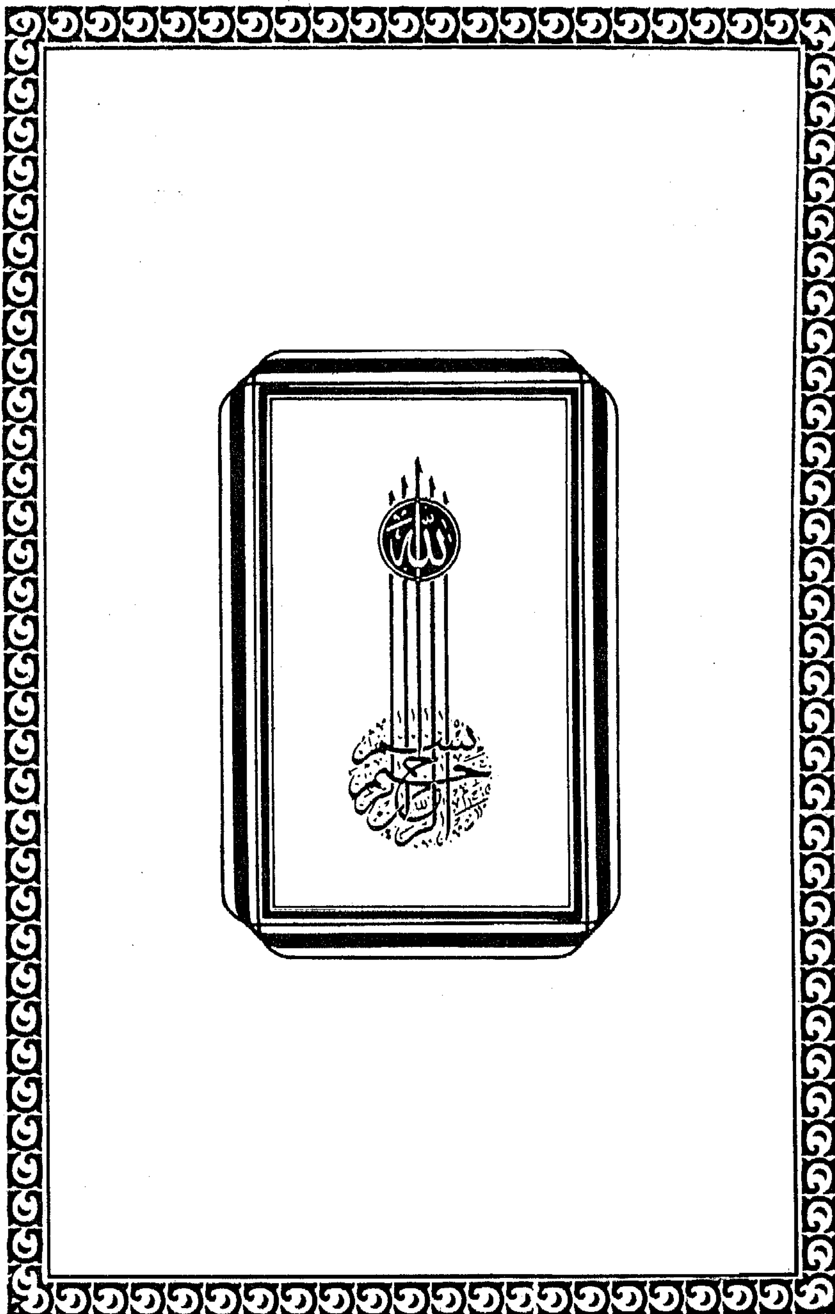
- ١ -

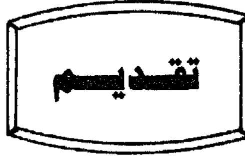
بيان حقيقة التوحيد

الذي جاءت به الرسل
ودحض الشبهات التي أثيرت حوله

بقلم
الدكتور صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان
الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء بالرياض

محرم ١٤٠٨هـ / سبتمبر ١٩٨٧م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم

لمعالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي
مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الكل يدرك خطر المذاهب الهدامة المنتشرة في بعض أراضي المسلمين والمتغلغلة في نفوس بعض منهم إما عن جهل وتقليد أو عصبية جاهلية ومثل هذه الفئة رغم قلتها ولله الحمد عدة وعدداً إلا أن تركها تروج مذاهبها وطرقها المنحرفة أمر له خطورته الكبيرة وتأثيره في مسيرة الإسلام وواقع المسلمين.

ومحاربة هذه الفئات وكشف ضلالتهم وبيان فساد معتقدهم ومخالفته لهدى الله ورسوله أمر واجب على الأمة الإسلامية جمعاء.

وشرح مذهب أهل السنة والجماعة وإيضاحه تجاه كافة القضايا الإسلامية وبيان عقيدتهم التى تطابق الحق والهدى أهم وسيلة لكشف مختلف العقائد الفاسدة والفرق الضالة التى

أعماها إبليس وزين لها سوء عملها وعلل لها انحرافها عن الحق والصواب .

ومنذ نشأت الفرق الضالة على أيدى اليهود والمنافقين والذين دخلوا الإسلام بهدف تشويهه وهدمه من الداخل ـ والله يقيض لها من يرد عليها ويوضح بطلانها ومنافاتها لحقيقة الإسلام عقيدة وشريعة .

واليوم تزخر الجامعات الإسلامية وعلى رأسها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالكثير من الكفايات العلمية القادرة على إيضاح مذهب السلف الصالح أهل السنة والجماعة وبسطه للمتعلم وغيره، وترجمته إلى اللغات المختلفة ليكون في متناول المسلمين في كافة أنحاء المعمورة وليتجنبوا بمعرفته والثبات عليه شتى الأفكار والمذاهب المنحرفة. وما سطره قلم الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حول بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل ودحض الشبهات التى أثيرت حوله ما هو إلا بداية لجهود نرجو أن تكون موفقة من الجامعة لشرح مذهب أهل السنة والجماعة في النواحي العقدية والشرعية التى هي أساس الإسلام والتى قررت إصدارها في بحوث مركزة وميسرة تحت عنوان (الطريق المستقيم) .

وقد اعتنى المؤلف وفقه الله في بحثه القيم ببيان أهمية العقيدة

وأنها الأساس المكين لبنيان الأمة. وتناول بالشرح والتفصيل أنواع التوحيد وموقف الكفار من كل نوع. كما بين كيف وقعت الأمم في الشرك في توحيد العبادة، وفصل القول في الشبه التى تمسكوا بها. وبين ما كان مشتركا منها بين مختلف الأمم قديمها وحديثها وقد أسهب في الرد عليهم ودحض كل مفترياتهم موردا الأدلة النقلية والعقلية على فساد معتقدهم وبطلان حجتهم.

كما فصل القول في الشفاعة وشروطها وما هو مقبول منها وما هو غير مقبول وشرح قضية التبرك بالأولياء والصالحين وأفاض في الحديث عن التوسل وما هو مشروع منه وما هو ممنوع.

وقد ختم بحثه بالرد على من يعتمد على الحكايات والمنامات وحصول بعض المقاصد من التردد على الأضرحة ونحوها. فجزاه الله خير الجزاء ونفع الله بهذا الجهد وحقق به ما نصبوا إليه جميعا والله الهادى سواء السبيل وهو ولينا فنعم المولى ونعم النصير.

د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي
مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بيـــان حقيقـة التوحيـد الذي جـاءت بـه الرسـل ودحـض الشبهـات التي أثيـرت حـوله

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد خاتم الرسل ومن تمسك بسنته وسار على نهجه إلى يوم الدين .

أمـــا بعـــد :

فإن العقيدة هي الأســاس الــذي يقوم عليه بنيان الأمم ، فصلاح كل أمة ورقيها مربوط بسلامة عقيدتها وسـلامـة أفكـارهـا ، ومن ثم جاءت رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنادي بإصلاح العقيدة . فكل رسول يقول لقومه أول ما يدعوهم :

﴿ ... ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ... ﴾[1] .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ... ﴾[2] .

(١) الآية (٥٩) من سورة الأعراف .

(٢) الآية (٣٦) من سورة النحل .

وذلـك لأن الله سبحـانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣].

والعبادة حق الله على عباده كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعـاذ بن جبـل رضي الله عنـه: «أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله، قال حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعـذب من لا يشرك به شيئاً»[٤]، وهذا الحق هو أول الحقـوق على الإطـلاق لا يسبقـه شيء ولا يتقدمه حق أحد. قال تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا... ﴾[٥] الآية.

وقال تعالى:

﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾[٦] الآيات.

---

(٣) الآية (٥٦) من سورة الذاريات.

(٤) الحديث رواه البخاري (١٣ / ٣٠٠) في التوحيد ومسلم برقم ٣٠ في الإيمان.

(٥) الآية (٢٣) من سورة الإسراء.

(٦) الآية (١٥١) من سورة الأنعام.

ولأسبقية هذا الحق وأولويته على سائر الحقوق وكونه الأساس الذي ينبني عليه سار أحكام الدين نرى النبي صلى الله عليه وسلم لبث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى القيام به ونفي الإشراك عنه وجاء القرآن الكريم في معظم آياته بتقريره ونفى الشبه عنه، وكل مصلٍّ فرضاً أو نفلاً يعاهد الله على القيام به في قوله:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(٧).

وهذا الحق العظيم يسمى توحيد العبادة أو توحيد الإلهية، أو توحيد الطلب والقصد ـ أسماء لمسمى واحد ـ وهذا التوحيد مركوز في الفطر «فكل مولود يولد على الفطرة»(٨) وإنما يطرأ الإنحراف عنه بسبب التربية الفاسدة «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(٨) وهذا التوحيد أصيل في العالم والشرك طاريء عليه ودخيل فيه، قال تعالى:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

---

(٧) الآية (٥) من سورة الفاتحة.

(٨) من حديث رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٠٤٧/).

وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ...﴾[9].

وقال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ...﴾[10].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام عشرة قرون كلهم على الإسلام[11]، قال العلامة ابن القيم: هذا هو القول الصحيح في الآية وذكر ما يعضده من القرآن[12]. وصححه أيضاً الحافظ ابن كثير في تفسيره، وأول ما حدث الشرك في قوم نوح حين غلوا في الصالحين واستكبروا عن دعوة نبيهم:

﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[13].

---

(٩) الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

(١٠) الآية (١٩) من سورة يونس.

(١١) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٢٥٠).

(١٢) انظر إغاثة اللهفان (٢/ ٢٠١).

(١٣) الآية (٢٣) من سورة نوح.

قال البخاري رحمه الله في صحيحه[١٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجالسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت) قال الإمام ابن القيم[١٥] رحمه الله: قال غير واحد من السلف لمّا ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ثم قال[١٦] رحمه الله: وقد تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام بكل قوم على قدر عقولهم، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم كما في قوم نوح ـ وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين وأما خواصّهم فاتخذوا الأصنام على صور الكواكب المؤثرة في العالم بزعمهم وجعلوا لهم بيوتاً وسدنة وحجاباً وقرباناً ولم يزل هذا في

---

(١٤) انظر صحيح البخاري (٦/١٣٣).

(١٥) انظر إغاثة اللهفان (٢/٢٠٢).

(١٦) إغاثة اللهفان (٢/ ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣).

الـدنيا قديماً وحديثاً. وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئه وهم قوم إبراهيم عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك وكسر حجتـهم بعلمـه وآلهتهم بيده، فطلبـوا تحريقـه، وطـائفـة أخرى اتخذت للقمر صنماً وزعمـوا أنـه يستحق العبـادة وإليه تدبـير هذا العـالم السفلى، وطائفة تعبد النار وهم المجوس فيبنون لها بيوتاً كثيرة ويتخـذون لها الـوقـوف والسدنة والحجاب فلا يدعونها تخمد لحظة واحدة، وطائفة تعبد الماء، تزعم أن الماء أصل كل شيء وبه كل ولادة ونمو ونشوء وطهارة وعمارة، وطائفة تعبد الحيوانات، فطائفة عبدت الخيل، وطـائفـة عبـدت البقـر وطـائفة عبدت البشر الأحياء والأمـوات، وطائفة تعبد الجن، وطائفة تعبد الشجر، وطائفة تعبد الملائكة، انتهى كلام ابن القيم رحمه الله.

ومن الأثـر الـذي مرّ من رواية البخـاري عن ابن عباس في بيان سبب حدوث الشرك في قوم نوح.

<u>ندرك أولاً</u>: خطورة تعليق الصـور على الجـدران ونصب التـماثيل في المجـالس والميادين وأن ذلك يئول

بالنـاس إلى الشرك بحيث يتـطور تعظيم تلك الصور والتماثيل إلى عبادتها واعتقاد جلب الخير ودفع الشر منها كما حدث لقوم نوح .

ندرك ثانياً : مدى حرص الشيطان على إضلال بني آدم ومكـــره بهم وأنـــه قد يأتيهم من ناحية استغـلال العواطف ودعوى الترغيب في الخير فإنه لما رأى في قوم نوح ولوعهم في الصالحين ومحبتهم لهم دعاهـم إلى الغلو في هذه المـحبـــة بحيث أمــرهم بنصب صورهم على المجالس وهدفه من هذا الخروج بهم عن جادة الصواب .

ندرك ثالثاً : أن الشيطان لا يقصر نظره على إغواء الأجيال الحاضرة بل يمتد إلى الأجيال المستقبلة فإنه لما لم يتمكن من إيقاع الشرك في الجيل الحاضر من قوم نوح طمع في الجيل المقبل ونصب له الأحبولة .

ندرك رابعاً : أنه لا يجوز التساهل في وسائل الشر بل يجب قطعها وسد بابها .

ندرك خامساً : فضل العلماء العاملين وأن وجودهم

في الناس خير. وفقدانهم شر فإن الشيطان لم يتمكن من إغواء القوم حتى فقدوا.

أنــواع التوحيــد :

إن التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية المتمثل بالإقرار بالخالق وانفراده بالخلق والتدبير والأحياء والإماته وجلب الخير ودفع الشر. وهذا النــوع لا يكــاد ينــازع فيه أحــد من الخلق حتى أن المشركين كانوا يقرون به مع شركهم ولا ينكرونه كما ذكر الله تعالى عنهم في قوله:

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[(١٧)].

وأمثـالهـا من الآيات كثير وفيها البيان الواضح بأن المشركـين كانـوا يقرون بهذا النوع من التوحيد، وإنما كانوا يجحدون النوع الثاني منه وهو توحيد العبادة المتمثل في إفراد الله سبحانه وتعالى في الطلب والقصد في كل

(١٧) الآية (٣١) من سورة يونس.

ما يصدر من العبد من أنواع العبادة، كما تدل عليه وتعبر عنه كلمة «لا إله إلا الله» إن هذه الكلمة تثبت العبادة بجميع أنواعها لله وحده وتنفيها عما سواه ولهذا لما طلب النبي صلى الله عليه وسلم من المشركين أن يقولوها امتنعوا وقالوا:

﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾(١٨).

لعلمهم أن من قالها فقد اعترف ببطلان عبادة كل ما سوى الله وأثبت العبادة لله وحده، فإن الإله معناه المعبود ـ والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة ـ فمن نطق بهذه الكلمة وهو مع هذا يدعو غير الله فقد تناقض مع نفسه ـ والعلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية هي التلازم بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الإلهية والقيام به ظاهراً وباطناً ولهذا كان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يطالبون أممهم بذلك ويحتجون عليهم بما يعترفون به من توحيد الربوبية كما قال تعالى:

(١٨) الآية (٥) من سورة ص.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[19].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ ... ﴾[20].

فالإقرار بتوحيد الربوبية مركوز في الفطر لا يكاد ينازع فيه أحد من المشركين ولم يعرف عن أحد من طوائف العالم إنكار هذا النوع إلا الدهرية الذين يجحدون الخالق ويزعمون أن العالم يسير بنفسه من غير مدبر له كما قال الله عنهم :

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ... ﴾[21].

فرد الله عليهم بقوله :

﴿ ... وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[21].

---

(١٩) الآية (١٠٢) من سورة الأنعام.

(٢٠) الآية (٣٨) من سورة الزمر.

(٢١) الآية (٢٤) من سورة الجاثية.

فهم لم يبنوا إنكارهم هذا على برهان دّلهم عليه بل على مجرد ظن، والظن لا يغني عن الحق شيئاً كما لم يستطيعوا الإجابة عن قوله تعالى:

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾[٢٢].

ولا عن قوله تعالى:

﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ... ﴾[٢٣].

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ... ﴾[٢٤].

ومن تظاهر بجحد هذا النوع من التوحيد كفرعون فهو مقر به في الباطن كما قال الله تعالى عنه:

﴿... لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾[٢٥].

وقال عنه وعن قومه:

---

(٢٢) الآيتان (٣٥-٣٦) من سورة الطور.

(٢٣) الآية (١١) من سورة لقمان.

(٢٤) الآية (٤) من سورة الأحقاف.

(٢٥) الآية (١٠٢) من سورة الإسراء.

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ... ﴾[٢٦].

وقال تعالى عن الأمم الأولى:

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[٢٧].

وهذا النوع من التوحيد ـ كما لم يذهب إلى جحده طائفة معروفة من نبي آدم كذلك في الغالب لم يقع فيه شرك فالكل مقرون بأن الله هو المنفرد بالخلق والتدبير ولم يثبت عن أحد من طوائف العالم إثبات خالقين متساويين في الصفات والأفعال فالثانوية من المجوس الذين يجعلون للعالم خالقين ـ خالقاً للخير وهو النور، وخالقاً للشر وهو الظلمة لا يسوون الظلمة بالنور، فالنور عندهم هو الأصل والظلمة حادثة وهم متفقون على أن النور خير من الظلمة وكذلك النصارى القائلون بالتثليث لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب منفصل بعضهم عن

(٢٦) الآية (١٤) من سورة النمل.

(٢٧) الآية (٣٨) من سورة العنكبوت.

بعض بل هم متفقون على أن خالق العالم واحد، ويقولون إن الأب هو الإله الأكبر. والحاصل أن إثبات توحيد الربوبية محل وفاق والشرك فيه قليل، ولكن الإقرار به وحده لا يكفي العبد في حصول الإسلام. بل لابد مع ذلك أن يأتي بلازمه وهو توحيد الإلهية، فإن الأمم الكفرية كانت تقر بتوحيد الربوبية خصوصاً مشركي العرب الذين بعث فيهم خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ولم يكونوا بهذا مسلمين لما لم يأتوا بتوحيد الإلهية، والمستقرأ لآيات القرآن الكريم يجد أنها تطالب بتوحيد الإلهية وتستدل عليه بتوحيد الربوبية فهي تطالب المشركين بما جحدوه وتستدل عليه بما أثبتوه. فهي تأمر بتوحيد العبادة وتخبر عن إقرارهم بتوحيد الربوبية فتذكر توحيد العبادة في سياق الطلب، وتوحيد الربوبية في سياق الخبر.

وأول أمر جاء في المصحف هو قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً

وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨).

وكثيراً ما نجد في القرآن الكريم الدعوة إلى توحيد العبادة والأمر به والجواب عن الشبه الموجهة إليه، وكل سورة في القرآن بل كل آية في القرآن فهي داعية إلى هذا التوحيد، لأن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وهذا هو توحيد الربوبية، وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه، وهذا هو توحيد الإلهية، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته في الدنيا والآخرة وهذا جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك وعن جزائهم في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء من خرج عن حكم التوحيد، وإما أحكام وتشريع، وهذا من حقوق التوحيد فإن التشريع حق لله وحده.

وهذا التوحيد بجميع أنواعه وحقوقه تضمنته كلمة واحدة هي: «لا إله إلا الله» فإنها تتضمن نفياً وإثباتاً.

---

(٢٨) الآيتان (٢١-٢٢) من سورة البقرة.

نفي الإلهية الحقــة عن كل ما سوى الله وإثبـاتهـا لله وحده. كما تتضمن ولاء وبراء ـ ولاء لله وبراء مما سواه. ودين التوحيد قائم على هذين الأساسيين ـ كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه:

﴿... إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [(٢٩)].

وهذا منهاج كل رسول يبعثه الله قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾ [(٣٠)].

وقال تعالى:

﴿... فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا...﴾ [(٣١)].

فمن قال: (لا إلــه إلا الله) فقـد أعلن البراءة من عبـادة كل ما سوى الله والتزم القيام بعبادة الله وذلك عهد يقطعه الإنسان على نفسه:

---

(٢٩) الآيتان (٢٦-٢٧) من سورة الزخرف.

(٣٠) الآية (٣٦) من سورة النحل.

(٣١) الآية (٢٥٦) من سورة البقرة.

﴿... فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣٢].

فلا إله إلا الله إعلان لتوحيد العبادة لأن الإله معناه المعبود فمعناها لا معبود بحق إلا الله. فمن قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله مع اعتقاد ذلك والعمل به فهو المسلم حقاً. ومن قالها وعمل بمقتضاها ظاهراً من غير اعتقاد في القلب فهو المنافق. ومن قالها بلسانه وعمل بخلافها من الشرك المنافي لمدلولها فهو الكافر ولو قالها مراراً وتكراراً كحال عبّاد القبور اليوم الذين ينطقون بهذه الكلمة ولا يفقهون معناها ولا يكون لها أثر في تعديل سلوكهم وتصحيح أعمالهم فتراه يقول لا إله إلا الله، ثم يقول: المدد يا عبدالقادر، يا بدوي، يا فلان يا فلان يستنجد بالأموات ويستغيث بهم في الملمات. إن المشركين الأولين عرفوا من معنى هذه الكلمة ما لم يعرفه هؤلاء حيث أدركوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(٣٢) الآية (١٠) من سورة الفتح.

حينما قال لهم قولوا لا إله إلا الله فقد طلب منهم ترك عبادة الأصنام وعبادة الله وحده ولهذا قالوا:

﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا... ﴾(٣٣).

وقال قوم هود:

﴿... أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا... ﴾(٣٤).

وقال قوم صالح له:

﴿... أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا... ﴾(٣٥).

وقال قوم نوح له من قبل:

﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾(٣٦).

هذا ما فهمه الكفار من معنى لا إله إلا الله ـ أنه تَرْك لعبادة الأصنام وإقبال على عبادة الله وحده فلهذا أبو عن

---

(٣٣) الآية (٥) من سورة ص.

(٣٤) الآية (٧٠) من سورة الأعراف.

(٣٥) الآية (٦٢) من سورة هود.

(٣٦) الآية (٢٣) من سورة نوح.

النطق بها ـ لأنه لا يجتمع مع عبادة اللات والعزى ومناة. وعبّاد القبور اليوم لا يدركون هذا التناقض فهم ينطقون بها مع بقائهم على عبادة الأموات. وبعضهم يفسر الإله بأنه القادر على الإختراع والخلق والإيجاد(٣٧) فيكون معنى (لا إله إلا الله) عنده: لا قادر على الإختراع إلا الله ـ وهذا من أفحش الخطأ فإن من فسرها بذلك لم يزد على ما أقر به الكفار فإنهم كانوا يقرون بأنه لا يقدر على الإختراع والخلق والرزق والإحياء والإماتة إلا الله كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم ولم يصيروا به مسلمين. نعم هذا المعنى الذي يذكرونه داخل في معنى لا إله إلا الله لكن ليس هو المقصود من هذه الكلمة.

الشرك في توحيد العبادة :

والشرك في العبادة هو صرفها أو صرف شيء منها لغير الله، وقد ألمحنا فيما سبق إلى مبدأ حدوثه في الأرض

(٣٧) كما هو مذكور في كتب العقائد المؤلفة على طريقة علماء الكلام وانظر مثلا رسالة التوحيد لمحمد عبده.

ولا زال مستمراً في الخلق إلا من رحم الله ـ وهذا الشرك نوعان شرك أكبر يخرج من الملة كالذبح لغير الله ودعاء غير الله ـ أو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله ـ وشرك أصغر لا يخرج من الملة لكنه ينقص التوحيد وقد يتمادى بصاحبه حتى يقع في الشرك الأكبر ـ وذلك كالحلف بغير الله وكثير الرياء. وقول ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت. وما أشبه ذلك من الألفاظ التى تجري على اللسان ولا يقصد معناها. وقد كثر الشرك في هذه الأمة واستشرى أمره بسبب ابتعاد أكثر الناس عن الكتاب والسنة وتقليدهم للآباء والأجداد على غير هدى وبسبب الغلو في تعظيم الموتي والبناء على قبورهم. وبسبب الجهل بحقيقة دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية».
وبسبب رواج الشبه والحكايات التى ضل بها أكثر الناس واعتبرها أدلة يستندون إليها في تبرير ما هم عليه. وهذه الشبه منها ما أدلى به مشركوا الأمم السابقة

ومنها ما أدلى به مشركوا هذه الأمة. ومن هذه الشبه:

أولا: شبهة تكاد تكون مشتركة بين طوائف المشركين في مختلف الأمم قديماً وحديثاً، وهي شبهة الاحتجاج بما عليه الآباء والأجداد وأنهم ورثوا هذه العقيدة عنهم ـ كما قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[٣٨].

وهذه حجة يلجأ إليها كل من يعجز عن إقامة الدليل على دعواه وهي حجة داحضة لا يقام لها وزن في سوق المناظرة فإن هؤلاء الآباء الذين قلدوهم ليسوا على هدى ومن كان كذلك لا تجوز متابعته والاقتداء به ـ قال تعالى:

﴿ ... أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[٣٩].

وقال تعالى:

﴿ ... أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[٤٠].

---

(٣٨) الآية (٢٣) من سورة الزخرف.

(٣٩) الآية (١٠٤) من سورة المائدة.

(٤٠) الآية (١٧٠) من سورة البقرة.

وإنما يكون الإقتداء بالآباء محموداً إذا كانوا على حق - قال تعالى عن يوسف عليه السلام:

﴿ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾(41).

وقال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ... ﴾(42).

وهذه الشبهة متغلغلة في نفوس المشركين يقابلون بها دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فقوم نوح لما قال لهم نوح:

﴿ ... يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾(43).

فجعلوا ما عليه آباؤهم حجة يعارضون بها ما جاءهم

(٤١) الآية (٣٨) من سورة يوسف.

(٤٢) الآية (٢١) من سورة الطور.

(٤٣) الآيات (٢٣-٢٤) من سورة المؤمنون.

به نبيهم نوح عليه السلام. وقوم صالح يقولون له:

﴿... أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ...﴾(٤٤).

وقوم شعيب يقولون له:

﴿... أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ ...﴾(٤٥).

وقوم إبراهيم يقولون له لمّا أفحمهم بالحجة وقال لهم:

﴿... مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾(٤٦).

وقال فرعون لموسى:

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾(٤٧).

وهكـذا الكفـر ملة واحـدة لا يملك أهله حجـة يدفعون بها الحق إلا هذه الحجة الواهية.

---

(٤٤) الآية (٦٢) من سورة هود.

(٤٥) الآية (٨٧) من سورة هود

(٤٦) الآيات (٧٠-٧٤) من سورة الشعراء.

(٤٧) الآية (٥١) من سورة طه.

ثانياً : الشبهة التى أدلى بها مشركوا قريش وغيرهم وهي الاحتجاج بالقدر على تبرير ما هم عليه من الشرك قال تعالى في سورة الأنعام :

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ... ﴾[48] الآية .

وقال في سورة النحل :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ... ﴾[49] .

وقال في سورة الزخرف :

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ... ﴾[50] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند آية الأنعام[51] : مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموه بأن الله مطلع على ما هم فيه

---

(٤٨) الآية (١٤٨) من سورة الأنعام .

(٤٩) الآية (٣٥) من سورة النحل .

(٥٠) الآية (٢٠) من سورة الزخرف .

(٥١) تفسير ابن كثير (٢/١٨٦) .

من الشرك والتحريم لما حرموه وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان ويحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا بذلك ـ قال: وهي حجة داحضة باطلة لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمر عليهم وأدال عليهم رسله الكرام وأذاق المشركين من أليم الإنتقام: «قل هل عندكم من علم (أى بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه «فتخرجوه لنا» أي فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه (إن تتبعون إلا الظن) أي الوهم والخيال «وإن أنتم لا تخرصون» تكذبون على الله فيما ادعيتموه. انتهى.

وقال عند تفسير آية النحل[٥٢]: ومضمون كلامهم أنه لو كان الله تعالى كارها لما فعلناه لأنكره علينا بالعقوبة ولما مكننا منه. قال الله تعالى راداً عليهم شبهتهم: «فهل على الرسل إلا البلاغ المبين» (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض

---

(٥٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧).

فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)[٥٣] أي ليس الأمر كما تزعمون أنه لم ينكره عليكم بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار ونهاكم عنه آكد النهي وبعث «في كل أمة» أي في كل قرن وطائفة من الناس رسولا وكلهم يدعون إلى عبادة الله وينهون عن عبادة ما سواه «أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوحاً وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي طبقت دعوته الأنس والجن والمشارق والمغارب.

وكلهم كما قال الله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[٥٤]. وقوله: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ ﴾[٥٥].

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة:

(٥٣) الآية (٣٦) من سورة النحل.

(٥٤) الآية (٢٥) من سورة الأنبياء.

(٥٥) الآية (٤٥) من سورة الزخرف.

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ... ﴾[٥٦].

فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول: (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء). فمشيئة الله تعالى الشرعية عنهم منتفية لأنه نهاهم عن ذلك على ألسنة رسله وأما مشيئته الكونية وهي تمكينهم من ذلك قدراً فلا حجة لهم فيها ـ قال: ثم أنه تعالى قد أخبر أنه أنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل. انتهى. فهم لم يريدوا بهذا الكلام الإعتذار عن إرتكاب القبيح لأنهم لا يعتقدون قبح أفعالهم بل هم «يحسبون أنهم يحسنون صنعاً» وهم إنما يعبدون الأصنام «ليقربوهم إلى الله زلفى»[٥٧] فلم يريدوا بذلك إلا الاحتجاج على أن ما ارتكبوه حق ومشروع ومرضى عند الله فرد عليهم سبحانه بأنه لو كان الأمر كذلك لما بعث الرسل لإنكاره ولما عاقبهم عليه.

(٥٦) كما في الآية (٣٦) من سورة النحل.

(٥٧) من الآية (٣) من سورة الزمر.

ثالثاً : ومن شبههم ظنهم أن مجرد النطق بلا إله إلا الله يكفي لدخول الجنة ولو فعل الإنسان ما فعل من المكفرات والشركيات متمسكين بظواهر الأحاديث التى ورد فيها أن من نطق بالشهادتين حرم على النار.

والجواب عن هذه الشبهة: أن الأحاديث المذكورة محمولة على من قال لا إله إلا الله ومات عليها ولم يناقضها بشرك بل قالها خالصاً من قلبه مع كفره بما يعبد من دون الله ومات على ذلك كما في حديث عتبان: «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[٥٨].

وفي صحيح مسلم[٥٩]: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله» فعلق النبي صلى الله عليه وسلم عصمة المال والدم بأمرين: الأول: قول لا إله إلا الله والثاني الكفر بما يعبد من دون الله فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى بل لابد من قولها والعمل بها. فقول لا إله إلا الله سبب

---

(٥٨) الحديث رواه مسلم في صحيحه (١/٤٥٦).

(٥٩) أنظر صحيح مسلم (١/٥٣).

لدخـول الجنـة والنجاة من النار ومقتض لذلك ولكن السبب والمقتضى لا يعمل عمله إلا إذا تحققت شروطه وانتفت موانعـه. قيل للحسن رحمـه الله: إن ناساً يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة، وقال وهب بن منبه لمن سأله أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة قال: بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح. فكيف يقال أن مجرد النطق بلا إله إلا الله يكفي لدخول الجنة ولو كان النـاطق بها يدعو الأموات ويستغيث بهم في الملمات. ولا يكفر بما يعبد من دون الله. هل هذا إلا عن المغالطة بالباطل.

رابعاً: ومن شبههم دعواهم أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن هذا الذي يقع منهم مع الأولياء والصالحين عند قبورهم ليس بشرك ـ والجواب عن هذه الشبهة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أنه سيحصل في هذه الأمة مشابهة لليهود والنصارى فيما هم عليه. ومن جملة

ذلك اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ـ قال صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ـ قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى، قال: فمن؟ »[٦٠] فأخبر صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة ستفعل ما فعلته الأمم قبلها من الديانات والعادات والسياسات مطلقاً. وقد وجد في الأمم قبلنا الشرك فكذلك يوجد في هذه الأمة ـ وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم فهاهي القبور تعبد من دون الله بأنواع العبادات ويصرف لها كثير من القربات، وأخبر صلى الله عليه وسلم أنها لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمته بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمته الأوثان، رواه أبو داود[٦١] وابن ماجه. وقد حدث في هذه الأمة من الشرك والمبادىء الهدامة والنِّحَل الضالة ما خرج به كثير عن دين الإسلام.

(٦٠) الحديث رواه البخاري (١٣/ ٣٠٠) فتح الباري.

(٦١) انظر سنن أبي داود ـ باب الفتن رقم الحديث ٤٢٥٢ باب ذكر الفتن ودلائلها.

خامساً : ومن شبههم استدلالهم بحديث: (إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، وهو حديث صحيح مروي عن عدة طرق في صحيح مسلم وغيره وقد استدلوا به على استحالة وقوع الشرك في جزيرة العرب ـ والجواب عن ذلك بما قاله ابن رجب رحمه الله: أن المراد أنه يئس أن تجتمع الأمة كلها على الشرك الأكبر. وأشار ابن كثير إلى هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى:

﴿... ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ ...﴾ .

وأيضا في الحديث المذكور نسبة اليأس إلى الشيطان مبنيا للفاعل ولم يقل: (أُيِّسَ) بالبناء للمفعول، وإياسه ظن منه وتخمين لا عن علم لأنه لا يعلم الغيب، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله وظنه هذا تكذبه الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم والتى أخبر فيها عن وقوع الشرك في هذه الأمة من بعده ـ ويكذبه الواقع فإن كثيراً من العرب ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأنواع من الردة ـ والله أعلم.

سادساً : ومن شبههم : تعلقهم بقضية الشفاعة حيث يقولون نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله لأنهم أهل صلاح ومكانة عند الله سبحانه وتعالى والشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة فهذا الذي نريده منهم . والجواب : أن هذا هو عين ما قاله المشركون من قبل في تعليل تعلقهم بالمخلوقين من دون الله كما قال تعالى عنهم :

﴿... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...﴾(٦٢) .

وقال تعالى :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ...﴾(٦٣) .

والشفاعة حق ولكنها ملك لله وحده :

﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾(٦٤) .

(٦٢) الآية (٣) من سورة الزمر.

(٦٣) الآية (١٨) من سورة يونس.

(٦٤) الآية (٤٤) من سورة الزمر.

فهي تطلب من الله لا من الأموات والله قد أخبرنا أنها لا تحصـــل إلا بشرطـــين: الشرط الأول إذن الله للشافع أن يشفع كما قال تعالى:

﴿ ... مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ... ﴾[٦٥].

والشرط الثاني أن يكون المشفوع فيه ممن رضى الله قوله وعمله وهو المؤمن الموحد ـ كما قال تعالى:

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[٦٦].

وقال تعالى:

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[٦٧].

وقال تعالى:

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[٦٨].

فالله لم يرخص في طلب الشفاعة من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من الأصنام لأنها ملكه وحده ومنه تطلب:

---

(٦٥) الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

(٦٦) الآية (٢٨) من سورة الأنبياء.

(٦٧) الآية (٢٦) من سورة النجم.

(٦٨) الآية (١٠٩) من سورة طه.

﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا... ﴾(٦٩).

فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع . وإن لم يأذن له لم يتقدم في الشفاعة بين يديه . وليس الأمر كما يحصل عند المخلوقين من تقدم الشفعاء إليهم وإن لم يأذنوا لهم . ويقبلون شفاعتهم ولو لم يرضوا بها ـ فإن المشفوع عنده من المخلوقين يحتاج إلى الشافع ومعاونته فيضطر لقبول شفاعته وإن لم يأذن له فيها ـ وأما الله سبحانه فهو الغني عما سواه فليس بحاجة إلى أحد بل كل أحد محتاج إليه . وأيضاً المخلوق لا يدري عن كل أحوال رعيته حتى يبلغه عنها الشفعاء لديه ـ والله سبحانه بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه فليس بحاجة إلى من يبلغه ـ وحقيقة الشفاعة عند الله سبحانه أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيعفو عنهم ويغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه بذلك .

سابعاً : ومن شبههم قولهم : إن الأولياء والصالحين لهم مكانة عند الله كما قال تعالى :

(٦٩) الآية (٤٤) من سورة الزمر

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ... ﴾(٧٠) .

والتعلق بهم والتبرك بآثارهم من تعظيمهم ومحبتهم وكذلك سؤال الله بجاههم وحقهم وما أشبه ذلك من التعليلات. والجواب: أن المؤمنين كلهم أولياء الله وهم يتفاوتون في هذه الولاية بحسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة - ولكن الجزم لمعين بأنه ولي الله يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنة - فمن شهد له الكتاب والسنة بالولاية شهدنا له بذلك. ومن لم يشهد له الكتاب والسنة فإننا لا نجزم له بذلك ولكن نرجو للمؤمن الخير - وحتى من ثبت في الكتاب والسنة أنه من أولياء الله فإنه لا يجوز لنا الغلو فيه والتبرك به وسؤال الله بجاهه وحقه فإن ذلك من وسائل الشرك ومن البدع المحرمة. فنحن نحب الصالحين ونقتدي بهم في الأعمال الصالحة والخصال الطيبة. ولا نغلوا فيهم ونرفعهم فوق

(٧٠) الآيات (٦٢-٦٤) من سورة يونس.

منـزلتهم. فإن الغلو في الصالحين هو مبدأ الشرك كما حصل في قوم نوح لما غلوا في الصالحين فآل بهم الأمر إلى أن عبدوهم من دون الله. وكما وقع في هذه الأمة بسبب الغلو في الصالحين من الشرك في العبادة. وقد حذر الله ورسوله من الغلو فقال تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ... ﴾[٧١].

وقـال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله»[٧٢].

والإطراء مجاوزة الحد في المدح. والله تعالى قد أمرنا أن ندعـوه وحده بدون واسطة ولي أو غيره ووعدنا أن يستجيب لنا وهو لا يخلف وعده فقال سبحانه:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ... ﴾[٧٣].

وقال تعالى:

---

(٧١) الآية (٧٧) من سورة المائدة.

(٧٢) الحديث رواه البخاري (٦/٤٧٨) فتح الباري.

(٧٣) الآية (٦٠) من سورة غافر.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ... ﴾(٧٤) .

وقال تعالى :

﴿ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ... ﴾(٧٥) .

وقال تعالى :

﴿ ... فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ... ﴾(٧٦) .

وهكذا كل الآيات فيها الأمر بدعائه مباشرة من دون واسطة أحد. والأولياء والصالحون عباد محتاجون فقراء إلى الله ـ قال تعالى :

﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ... ﴾(٧٧) .

قال العوفي عن ابن عباس في الآية كان أهل الشرك يقولون : نعبد الملائكة والمسيح وعزيرا فقال الله تعالى :

---

(٧٤) الآية (١٨٦) من سورة البقرة.

(٧٥) الآية (٥٥) من سورة الأعراف.

(٧٦) الآية (٦٥) من سورة غافر.

(٧٧) الآية (٥٧) من سورة الإسراء.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ... ﴾.

أي الملائكة المعبودة لهم يتبادرون إلى طلب القربة إلى الله فيرجون رحمته ويخافون عذابه ومن كان كذلك لا يدعي مع الله[78] ـ قال شيخ الإسـلام ابن تيمية: والآية عامة تعم كل من كان معبوده عابد الله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر ـ فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوا وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته الآية كما تتناول من دعا الملائكة والجن[79].

ثامناً: ومن شبههم استدلالهم بقوله تعالى:
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[80].
وقوله تعالى:

(٧٨) انظر تفسير ابن كثير (٣/٤٦).
(٧٩) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام (١١/٥٢٩).
(٨٠) الآية (٣٥) من سورة المائدة.

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ... ﴾[81] .

حيث فهموا من الآيتين مشروعية اتخاذ الوسائط بينهم وبين الله من الأنبياء والصالحين يتوسلون بذواتهم وبحقهم وجاههم ـ والجواب عن ذلك أن الوسيلة في الآيتين ليست كما فهموا بل المراد بها التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة ـ فالتوسل قسمان : توسل مشروع وتوسل ممنوع ـ فالتوسع المشروع أنواع ـ منها :

١ ـ التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته كما قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا... ﴾[82] .

كأن يقول المسلم يالله يا أرحم الراحمين، يا حنان يا منان يا ذا الجلال والإكرام أسألك كذا وكذا .

٢ ـ التوسل إلى الله بإظهار الفقر والحاجة إليه سبحانه ـ كما قال أيوب عليه السلام :

﴿ ...أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[83] .

(٨١) الآية (٥٧) من سورة الإسراء .

(٨٢) الآية (١٨٠) من سورة الأعراف .

(٨٣) الآية (٨٣) من سورة الأنبياء .

وكما قال زكريا عليه السلام :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾[٨٤] الآيات .

وكمال قال ذو النون عليه السلام :

﴿ ...أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٨٥] .

٣ ـ التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة كما في قوله تعالى :

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا... ﴾[٨٦] .

وكما في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فدعوا الله بصالح أعمالهم ففرج عنهم[٨٧] وهو التوسل المذكور في الآيتين الكريمتين اللتين استدل بهما المخالف فهو التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة .

---

(٨٤) الآية (٤) من سورة مريم .

(٨٥) الآية (٨٧) من سورة الأنبياء .

(٨٦) الآية (١٩٣) من سورة آل عمران .

(٨٧) أنظر صحيح البخاري (٤/ ٣٦٩، ٣٧٠) .

٤ ـ التوسل إلى الله تعالى بدعاء الصالحين ـ بأن تأتي إلى عبد صالح حي وتقول له ادع الله لي ـ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه: لا تنسنا يا أخي من دعائك[٨٨]، وكما كان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لهم ويطلب بعضهم من بعض الدعاء.

أما التوسل الممنوع: فهو التوسل بذوات المخلوقين وحقهم وجاههم ـ كأن يقول قائل: أسألك بفلان أو بحق فلان أو جاهه حياً أو ميتاً فإن هذا بدعة محرمة ووسيلة من وسائل الشرك وإن تقرب صاحبه إلى المخلوق المتوسل به بشيء من أنواع العبادة فهو الشرك الأكبر نعوذ بالله من ذلك كأن يذبح للولي أو ينذر لقبره أو يناديه ويطلب منه المدد وغير ذلك. نسأل الله أن يبصر المسلمين بدينهم وأن ينصرهم على أعدائهم ويهدي ضالهم.

(٨٨) انظر الحديث: في سنن أبي داود رقم ١٤٩٨ في الصلاة في باب الدعاء والترمذي في الدعوات رقم ٣٥٥٧.

تاسعاً : ومن شبههم تعلقهم ببعض الأحاديث التى ظنوا أنها تصلح حجة لهم كالحديث الذي رواه الترمذي في جامعه[٨٩] بسنده عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أدع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت. وإن شئت صبرت فهو خير لك. قال فادعه فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت به إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم فشفعه في، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من رواية أبي جعفر وهو غير الخطمي، قالوا فهذا الحديث فيه التوجه إلى الله وسؤاله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

والجواب عن ذلك أن هذا الحديث إن صح فهو في غير محل النزاع، فإن هذا الأعمى إنما طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له وتوجه إلى الله بدعائه مع حضوره وهذا جائز ـ أن تأتي إلى رجل صالح حي

(٨٩) سنن الترمذي كتاب الدعوات رقم الحديث (٣٥٧٣) باب من دعية الإجابة.

وتـطلب منه أن يدعو الله لك ـ وليس فيه ما يدل على التـوسل والتوجه بالأموات والغائبين. والنبي صلى الله عليه وسلم أمر هذا الضرير أن يدعو الله أن يقبل شفاعة نبيه فيه فهـذا فيه طلب الشفاعة من الله تعالى وطلب الشفاء من الله وحده، ليس في الحديث أكثر من هذا فهو لا يدل على جواز التوسل بذوات المخلوقين ونداء الأمـوات والغـائبين، واستدلوا أيضاً بحديث مكذوب فيروون: «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم» وهو حديث مكذوب مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٩٠].

عاشراً: ومن شبههم أيضا اعتمادهم على حكايات ومنامات: أن فلاناً مثلا أتى القبر الفلاني فحصل له كذا وكذا وفلاناً رأى في المنام كذا وكذا ـ مثل الحكاية التى ذكـرها جماعة منهم. وهي أن العتبي قال كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول:

(٩٠) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية (١/٣١٩، ٣٤٦).

﴿...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(٩١).

وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت في الأرض أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عتبي الحق بالأعرابي فبشره أن الله غفر له ـ والجواب عن ذلك: أن الحكايات والمنامات لا تصلح دليلاً تبنى عليه أحكام وعقائد: وقوله تعالى: ﴿... جَآءُوكَ ...﴾.

المراد به المجيء إليه صلى الله عليه وسلم في حياته لا المجيء إلى قبره. بدليل أنه لم يكن أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان يأتي إلى قبره صلى الله عليه وسلم

(٩١) الآية (٦٤) من سورة النساء.

ويطلب منه أن يستغفر له مع حرصهم الشديد على الخير وامتثال الأمر فلو كان ذلك مشروعاً لفعلوه . . .

الحادي عشر : ومن شبههم الاستدلال بحصول بعض مقاصدهم عند الأضرحة ونحوها كقولهم إن فلاناً دعا عند الضريح الفلاني أو هتف باسم الشيخ فلان أو الولي فلان فحصل له مطلوبه - والجواب أن حصول بعض المقصود للمشرك لا يدل على جواز ما هو عليه من الشرك إذ قد يكون حصول ذلك صادف قضاء وقدراً فظن أن ذلك بسبب دعائه لذلك الشيخ أو الولي . أو قد يكون ذلك حصل استدراجاً له وفتنة - فلا يدل على جواز دعاء غير الله . وهكذا نجد المشركين لا يملكون دليلا واحداً صحيحاً لما هم عليه من الشرك بل هم كما قال الله تعالى :

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ... ﴾[٩٢] .

وإذا كان الشرك لم يقم على برهان وحجة فإن التوحيد قام على البراهين القاطعة والحجج الواضحة :

(٩٢) الآية (١١٧) من سورة المؤمنون .

﴿... أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾(٩٣).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٩٤).

الثاني عشر: زعم غلاة المتصوفة ومن يقلدهم أن الشرك هو الميل إلى الدنيا والاشتغال بطلبها، والجواب: أن هذا يريدون به تغطية ما هم عليه من الشرك الأكبر المتمثل بعبادتهم للقبور وغلوهم في المشائخ، وطلب الدنيا من الوجه المباح هو مما أمر الله به، وإذا كان القصد منه الإستعانة به على طاعة الله فهو عبادة وتوحيد.

(٩٣) الآية (١٠) من سورة إبراهيم.

(٩٤) الآيتان (٢١-٢٢) من سورة البقرة.

الخاتمة

وبعد: فإن الشرك هو أعظم أنواع الظلم قال تعالى:

﴿... إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٩٥).

إن الشرك لا تتناوله مغفرة الله لمن مات عليه قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ...﴾(٩٦).

إن المشرك تحرم عليه الجنة تحريماً مؤبداً:

﴿... إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ...﴾(٩٧).

إن المشرك نجس لا يحل دخوله في حرم الله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ...﴾(٩٨).

---

(٩٥) الآية (١٣) من سورة لقمان.

(٩٦) الآية (٤٨) من سورة النساء.

(٩٧) الآية (٧٢) من سورة المائدة.

(٩٨) الآية (٢٨) من سورة التوبة.

إن المشرك حلال الدم والمال:

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ... ﴾(٩٩).

إن المشرك قد ضل ضلالاً مبيناً وافترى إثماً عظيماً إن المشرك قد انحط من سمو التوحيد:

﴿... وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾(١٠٠).

إن المشرك لا تحل مناكحته:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ... ﴾(١٠١).

إن المشرك لا يقبل منه عمل ولا تصح منه عبادة:

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

---

(٩٩) الآية (٥) من سورة التوبة.

(١٠٠) الآية (٣١) من سورة الحج.

(١٠١) الآية (٢٢١) من سورة البقرة.

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[102].

﴿... وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[103].

«نعوذ بالله من الشك والشرك والكفر والنفاق وسوء الأخلاق وسوء المنقلب في المال والأهل والولد اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه».

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[104].

﴿... سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[105].

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[106].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

د. صالح الفوزان

---

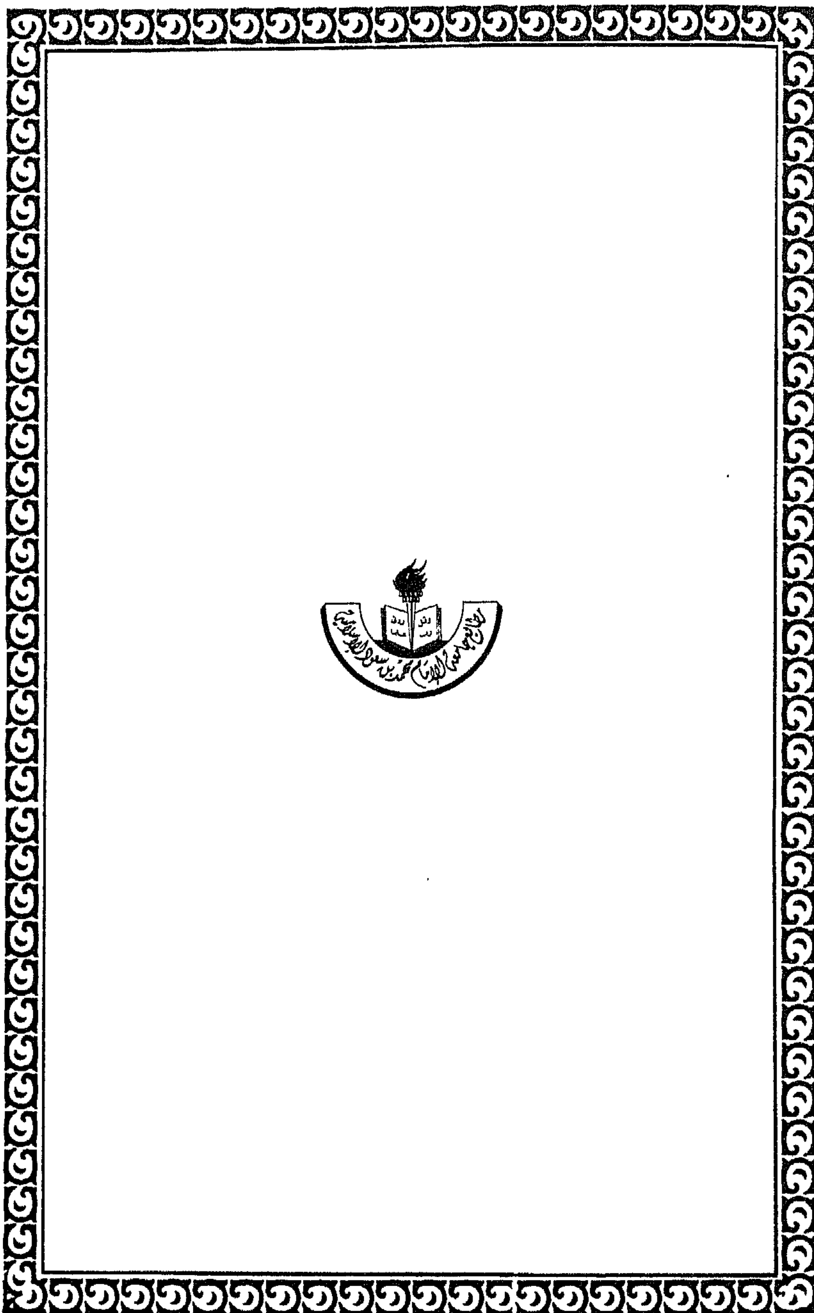
(١٠٢) الآية (٦٥) من سورة الزمر.

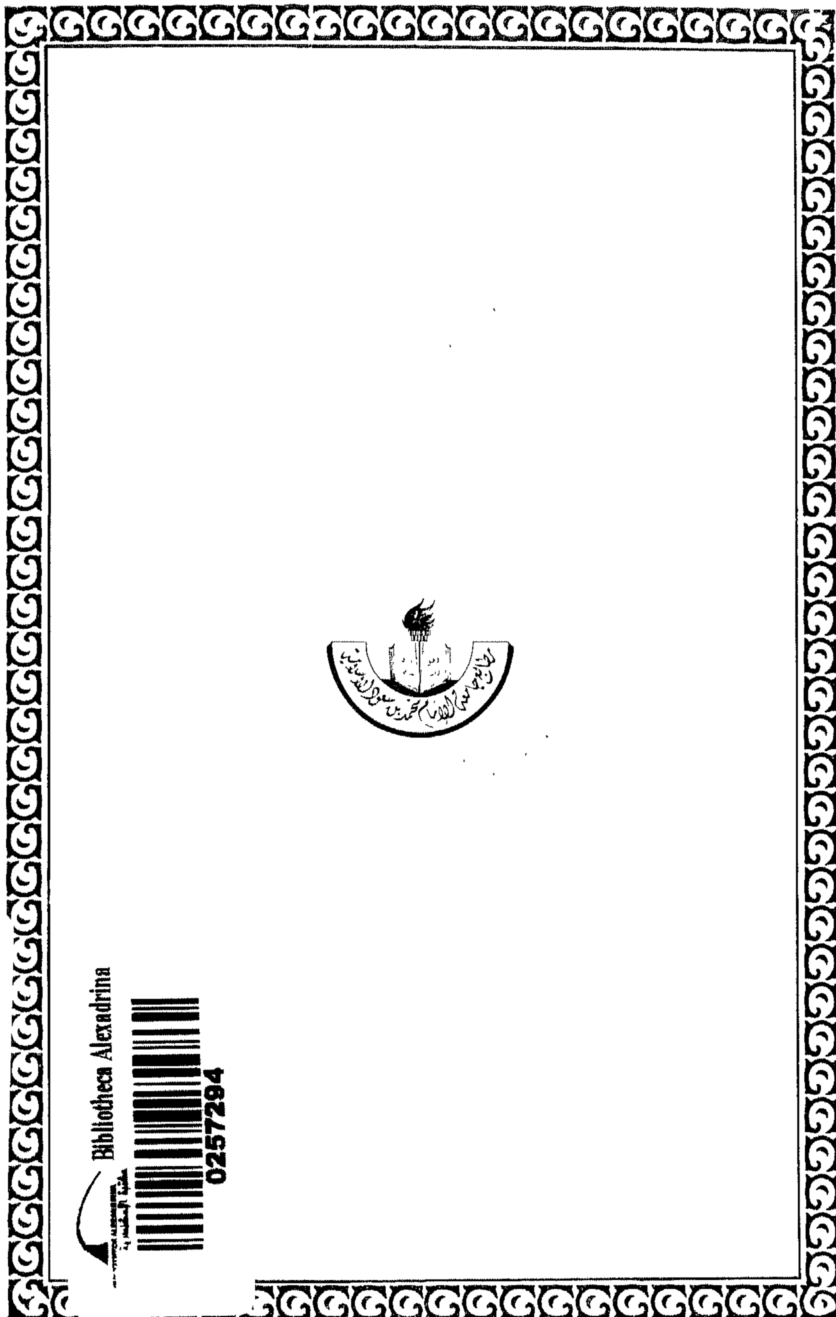
(١٠٣) الآية (٨٨) من سورة الأنعام.

(١٠٤) الآيات من سورة الصافات (١٨٠-١٨٢).

(١٠٥) الآية (١) من سورة النحل.

(١٠٦) الآية (٤٣) من سورة الإسراء.




Bibliotheca Alexandrina
0257294